الرواية الجزائرية المعاصرة في إطار النقد المعاصر

الطالبة الباحثة: سجراري خيرة
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

الأستاذ الدكتور: بن يمينة رشيد
مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

تعتبر الرواية حيزا أدبيا متحولا خاضعا لمجموعة من العوامل فهي تنقل ما يتعرض له المجتمع، وقد تمركز مسار الرواية الجزائرية المعاصرة حول كسر السائد واستجاب لحركة النقد، هذا الأخير كان ملازما للرواية متابعا لمواضيعها، ولعل أبرز ما أضافه المنجز النقدي المعاصر للرواية الجزائرية العسر فهو أهم ما ميز قراءة الرواية الجديدة، فهل كان حضور المنجز النقدي متميزا؟ أم أنه لا يزال بكرا من حيث تقنياته وآلياته؟ وهل ممارسة نقد النقد لا تزال مفتقرة إلى الوعي بمفهومه؟

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ الرواية الجديدة؛ النقد؛ نقد النقد؛ النقد المعاصر.

The algerian novel in the frame of conremporory cristicism.

Abstract: The Algerian Novel is a literary genre svbject to a set of factor. In fact it partroys the daily life of the society. Neadless to say That the Algerian conremporary Novel has renwed various Aspects based on the requierements of the critol movement. One of the main contriktions of this movement is the difficulty sevrel questions raise was the presence of the critical movment significant? is it new and Inerplosed? does the practice of the criticism of criticism heed consciousness?

keywords: Novel, new novel, criticism, criticizing criticism, contemporary criticism.

تتربع الرواية الجزائرية على مكانة مرموقة، وتحمل قضايا متشبعة، فهي تحمل صوت الأديب وآلام الشعوب، التي لطالما كانت من الاستعمار الأجنبي. وبهذا ذاع صيت الرواية الجزائرية وبلغ كل الأقطار العربية، فقد فرضت وجودها ضمن أهم الفنون الأدبية ومرد ذلك إلى التحولات العميقة المتعلقة بالجوانب الاجتماعية، السياسية والثقافية وبما أن الأديب يعيش هذه التحولات فإنه سينقلها في كتاباته وإبداعاته.

إنّ الرواية حيز أدبي متحول يخضع لمجموعة من الدوافع والعوامل، تنقل ما يتعرض له المجتمع، فهي تمتاز برحابة التجربة الفنية والإنسانية بتعدد الدلالات التي تؤسس لتعدد

تاريخ تسليم البحث: 24 فبراير 2018.
تاريخ قبول البحث: 06 ماي 2018.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القراءات وانفتاحها على التأويل. كما يعتمد الروائي على تنويع التقنيات الفنية والأدوات الأسلوبية التي من شأنها إضفاء دينامية فعالة على هذا الجنس فكأنه في حركة وتحول مستمرين، حيث تمركز مسار الرواية الجزائرية الحديثة حول كسر السائد الذي لم يجرؤ الروائي الكلاسيكي على الخوض فيه ولا الاقتراب منه.

لقد استجاب النص الروائي الجزائري المعاصر لحركة النقد الأدبي هذا المصطلح الذي عرف منذ القدم وساير العصور، فالمنجز النقدي الجزائري المعاصر كان ملازما للرواية ومتابعا لأجزائها فهل كان حضوره متميزا عن النقودات الأخرى سواء الشرقية أم الغربية؟ أم أنّ هذا النقد لم يكن يجتر ما طرقه غيره وتوصل إليه سواه خاصة في حقل الرواية باعتباره أنه لا يزال بكرا من حيث تقنياته وآلياته التي لا يكاد يستقر لها حال؟

فقد تأثرت الرواية الحديثة الجديدة بالتيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية التي وفدت إلينا من الغرب، ولعل أبرز المحاور التي سنقف عندها:

1) مدى استجابة النص الروائي الجزائري الجديد لحركة النقد الأدبي وإلى أي مدى كان مستوعبا للمقولات النقدية المعاصرة.

2) المناهج والمذاهب النقدية الغربية وكيف تناولها نقادنا وهل صبغت بالصبغة الجزائرية العربية أم أنها بقيت محافظة على منبتها.

3) المصطلح السردي وما يرتبط به من عوالق مفاهيمية ذات المنشأ المتعدد فنيا وفلسفيا وفكريا وهل تم استيراده كآلة جاهزة أم أن نقادنا تعاملوا معه كمادة قابلة لإعادة الصياغة وفق هذه التحولات، مما أدى إلى الخضوع لنوع جديد من التطوير.

مما لاشك فيه أنّ جنس الرواية العربية الجديدة عامة والجزائرية خاصة مرتبط بالرواية الغربية التي كان لها سبق النضج الفني وغدت المرجع الذي تستمد منه الكتابة السردية العربية وسائلها النظرية وأدواتها المنهجية وآلياتها الإجرائية.

لقد شهد السرد الجزائري تطورا سريعا وقفزة نوعية، جعلته يتجاوز طور النشأة والتأسيس ليحتل مكانة متقدمة ومرحلة نضج بشكل ملفت، نظرا لما وظفه من تقنيات الرواية الجديدة التي أهلته إلى ولوج حقل التجريب وهو بهذا يفرض حداثته فقد تمرد على التقاليد الجامدة وأصول الكتابة الكلاسيكية التقليدية، فهذا التطور كان يعكس حقيقة الرواية الجزائرية **"التي لا تقر بالثبات ولا تعترف بالاستقرار، فهي نسبية تتحول بتحول البنية الاجتماعية، انطلاقا من نمط حياة الفرد في المجتمع ووصولا إلى طريقة تفكيره وتصوره ومن ثم إبداعه. فالرواية في الغالب متغيرة باستمرار تبعا لعوامل عديدة تتحكم في الإنسان ومجتمعه. "(1)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ هذا التطور جعل الرواية الجزائرية تحقق القفزة التطويرية، وتضمن مكانها في إطار ما يسمى بالرواية الجديدة، أو الرواية المعاصرة، أو ما يسمى بالرواية التجريبية. على الرغم من وجود اختلافات حول المفاهيم ولكن بدافع التحفيز نعتبر المصطلحات الثلاثة (الجديدة، المعاصرة، التجريبية) مصطلحا واحدا ضمن المفهوم الذي يعكس تجاوز هذا النمط من الكتابة" **نحن مضطرون إلى اصطناع هذا المصطلح(...)لنميز فعلا بين شكلين مختلفين للرواية اختلافا بعيدا أو اختلافا ما ولكنه ثابت بلا ريب"(2)**. فالرواية المعاصرة تكاد تتجاوز الرواية الكلاسيكية في بنيتها الفنية وهذا ما اعتمدته الرواية التقليدية كقاعدة أساسية لبناء هيكلها العام.

وعليه جاءت الرواية الجديدة استجابة لهذا التغير الحاصل في البنية الاجتماعية، ونشأة مسار جديدة للكتابة الروائية الجزائرية كانت بمثابة تمرد على المألوف، وثورة على المستقر مما أدى إلى تداخل أجناس أدبية فيه غدت بذلك حقلا للتجريب الأدبي، فهذا التمرد تمثل في كسر السائد وطرق مجالات كانت مهمشة مثل تجربة الجسد، عنف السلطة، تمرد المرأة..."**إن الرواية الجديدة أضحت في ضوء ما تقدم في الجزائر تلعب الدور البارز في رصد تجربة الذات الجزائرية وفي تتبع مسيرتها"(3)**، حتى النقد قد ابتعد عن الشرح والتفسير، فما الإضافات التي أضافها النقد الجزائري في ظل المقاربات النقدية للراوية الجزائرية الجديدة؟ فتعدد المناهج يفضي بنا إلى تعدد القراءات.

إذا سلمنا أنّ النقد الأدبي المعاصر قد انفك مما علق به في سابق عهده من أحادية التأويل، نظرا لما عمد إليه من استثمار لمختلف المعارف الإنسانية وعلومها، مما أدى بهذا النقد إلى الانفتاح على مناهج ومذاهب وتيارات فكرية متعددة، فمثلا علم النفس أفاد النقد كثيرا حيث وظف من أجل الكشف عن أعماق الشخصيات الروائية وإظهار مخبوءاتها النفسية والقفز إلى تحليل أفكارها وسلوكاتها أي أنّ القارئ ينطلق من مقاطع مختلفة من النص الروائي للوصول للرموز الدفينة والشفرات المتمثلة أساسا في العقد "**الأعمال القصصية والروائية من الأعمال الأكثر اقترابا من ميدان علم التحليل النفسي"(4)**. فمثل هذه القراءة ترسم المقاربة النفسية. وهنا يتبادر إلى الذهن أن النقد الأدبي في ظل المقاربة النصية يميل إلى مجال التحليل النفسي، ولا يحتفظ بشيء من النقد ولو تتبعنا المفاهيم السردية في النقد الجزائري المعاصر لوجدناها بين الاستيعاب والتوظيف، حيث أن بعض المفاهيم قد تبلورت في الخطاب السردي وفق تطورات فكرية معاصرة، ليكون هذا البحث محاولة نقدية تصب في إطار نقد النقد فالنص الأدبي مثلا" **قد ثار على كل القواعد وتنكر لكل النصوص رافضا كل القيم التقليدية معتمدا استراتيجية الخطاب الواصف للخطاب النقدي الروائي المعاصر خاصة الجزائري**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه الذي ارتبط تحديدا بالرواية الجديدة"(5) وبفضله تمكنت التجارب الروائية الجزائرية الجديدة من فتح مجال واسع أمام مختلف المقاربات النقدية، مركزا على المتن السردي اعتمادا على اللغة التي تحقق له استراتيجية المنحى الجمالي الذي يقود إلى تأسيس أرضية لمحاورة النص النثري، ومحاولة خلخلة بنياته التقليدية بدءا من التشكيل اللغوي إلى فضائه الجمالي الكلي.

لعل أبرز الإضافات التي أظهرها النقد الجزائري المعاصر: العسر، فهو أهم ما يميز قراءة الرواية الجديدة إذ يأبى الكشف عن كل الإبدالات التي قد يحدثها الواقع الروائي، لذا فهي تستوجب توظيف الأدوات المعرفية والنقدية المتطورة التي تتزامن وهذا التنويع الإبداعي. لكن ما يلاحظ في هذا الحقل هو كثافة التنظير النقدي على الممارسة النقدية الفعلية التي تخاتل النص الروائي الجديد، لذا فإن النقد الجزائري خصوصا والعربي عموما لا يعد ذا الصيغة الممارساتية، لأن التنظير يغلب عليه وهذا لأسباب كثيرة ومتشابكة منها ما يتعلق بالنظريات ومنها ما يتعلق بمصاعب التطبيق، فغموض النظريات النقدية وعدم استيعاب مفاهيمها، إلى جانب اضطراب المصطلح النقدي واختلاف مدلولاته وتعدده اللامتناهي، ناهيك عن الترجمة الهشة والمضطربة لأمهات الكتب والمصادر الأجنبية.

فمن هذا المنظور ظلت ممارسة نقد النقد مفتقرة إلى الوعي بمفهومه، والتنظير بحدود مادته المعرفية، يقول أحد الدارسين: **"و لئن كان شيء من كل هذا مبثوثا بين طيات الكتب في الماضي فإن حصوله بضرب من الوعي الواضح بل بشيء من الوعي الحاد أحيانا في المنهج الحديث هو الذي حول القضية إلى سمة بارزة ضمن سمات الوضع الراهن"(6)**، فمصطلح نقد النقد تأخر ظهوره نسبيا، لأنه لم يرافقه عمل نظري كاف يفصح عن ماهيته ويؤكد سماته الخاصة، فكثير من النقاد ينبّهون إلى وجود نقد النقد، ويحددون موضوعه وعلاقته بالنقد ويذكرون فعله في الأنساق، غير أنهم لم يظهروا موقعا بارزا في مجال الفكر، هذا يعني أن نقد النقد لا يزال بحاجة لجهود الدارسين من أجل تأصيل منزلته وإرساء أسس علمية له.

إنّ عدم التماثل والتطابق في الموضوع والغاية بين النقد الأدبي ونقد النقد استدعى إمكانية استقلال نقد النقد، يقول الناقد باقر جاسم: **"يستلزم هذا الفرق الجوهري بين موضوع النقد الأدبي وموضوع نقد النقد بالضرورة العلمية العمل على فكرة استقلال نقد النقد عن النقد الأدبي..."(7)** وهذا بأن تنتقل قراءة ناقد النقد بسمات تميزها عن قراءة الناقد الأدبي منها:

* الموضوعية.

*الابتعاد عن التهكم والسخرية.

*الحوار المتعدد الأطراف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*اتخاذ شكل ردود واعتراضات وتصويبات لآراء الناقد الأول.

*العودة إلى النص الأدبي وإلى النقد الذي كتب حوله...

تتداخل وظائف نقد النقد بسمات قراءة ناقد النقد من جهة، وبتعريف نقد النقد من جهة أخرى، ولعل من النقاد الذين أفردوا حيزا لوظائف نقد النقد صراحة وأطلق عليها سمات قراءة ناقد النقد مرة ثانية، ومقومات الميتانقد مرة ثالثة، هو الناقد باقر جاسم محمد.

1) يقوم نقد النقد بتفكيك النقد الأدبي لفحص العناصر الإيديولوجية وتكشف عن طبيعة المؤشرات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

2) قراءة مزدوجة الهدف فهو يقرأ النص النقدي قراءة محاورة واختلاف.

3) يحدد الأنساق المضمرة النفسية والثقافية التي جعلت الناقد يتبنى منهجا نقديا.

4) يكشف عن صيرورة النقد الأدبي وتحولاته ويربط بين العوامل السياقية الخارجية التي تحفز عملية التطور الأدبي.

5) يعمل على إعادة تشكيل وعي القارئ غير المنتج لرؤية نقدية مدونة.

6) مراجعة مصطلحات النقد ومعرفة فلسفة نقد النقد.

7) **"ينتج علاقة جديدة معقدة بين القارئ والنص والنقد المكتوب عنه"(8).**

من المراحل التي مرّ بها النقد: مرحلة ممارسته دون الإشارة إليه مصطلحا ومفهوما، فيمكن أن ندرج ضمن هذه المرحلة ما نشر في مجلة الآداب من نقود للبحوث المنشورة في أعداد سابقة وذلك في زاوية (قرأت في العدد الماضي، البحوث)، وبعدها مرحلة الإشارة العابرة للمصطلح أو المفهوم دون التصدي لتأصيله وتحديد حقل اشتغاله وآلياته، ويمثل هذه المرحلة كتاب "الدكتور محمد برادة: محمد مندور وتنظير النقد العربي وكتاب محمد عزام "تحليل الخطاب الأدبي" وكتاب خالد بن محمد بن خلفان السيابي (نقد النقد في التراث العربي كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر نموذجا...

ما يمكن قوله أنّ نقد النقد هو خطاب نقدي يقوم على خطاب نقدي آخر فينظر في منهجه ومصطلحه وإجراءاته النظرية والعملية، فإن كتاب محمد عزام (تحليل الخطاب الأدبي...) يتيح محاورته نظرا لطبيعة صياغة العنوان التي تعلن صراحة أنه (دراسة في نقد النقد) ويفرض ضرورة وجود مبحث في الأساس لنقد النقد، اعتمادا على أن الكتاب هو خطاب نقدي قائم على خطاب نقدي آخر وهو ما ينسجم وتعريف نقد النقد.

إنّ الدراسة في المصطلح النقدي ليس مجرد النظر في ألفاظ من جهة بنيتها الصرفية واللغوية، أو من جهة تفسيرها عن المضامين وقيم يتبناها نوع من المقاربات النقدية، وإنما هي جزء مهم في بنية ثقافية متكاملة، فالمصطلح النقدي لم يكن يوما وليد الارتجال أو صدفة وإنما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حمله وفصاله في السياق الثقافي قد يبلغ أمدا معتبرا حتما ينطلق في الحياة النقدية بالغا أشدّه رافعا صوته بما يحمل من شحنات مختلفة.

مراجع البحث وإحالاته:

(1)عبد السلام المسدي: مفهوم نقد النقد في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص: 76.

(2)باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميتا نقد، محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد37، مارس 2009، ص: 118.

(3)المرجع نفسه: نقد النقد أم الميتا نقد، ص: 122.

(4)محسن جاسم الموسوي: الرواية العربية، النشأة والتحول، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988، ص: 118

(5)عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد24، 1998، ص: 11

(6)فيصل دراج وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية، دراسات وشهادات، بيروت، ط1، 1999، ص: 95.

(7) بشير بويجرة محمد: الأنا، الآخرو رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورا ت دار الأديب، د. ت، ص: 116.

(8)ينظر: بشير بويجرة محمد، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، ط2، 2006، ص: 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com